الفصل الرابع
مقومات شخصية الوالدين اللازمة لتنشئة الفتاة المسلمة

مقومات شخصية الوالدين اللازمة لتنشئة الفتاة المسلمة

تمهيد:

أولاً: اختيار كل من الزوجين للآخر على أساس الدين والخلق.

ثانياً: أن يكونا مسلمين بالمعنى الحقيقي للإسلام.

ثالثاً: أن يكون الوالدان مثقفين.

رابعاً: أن يكون الوالدان قدوة حسنة ومثلاً طيباً في جميع جوانب الحياة.

خامساً: أن يتصفا بالرحمة والرفق واللين في غير إسراف.

سادساً: أن يتصفا بالتواضع والصدق والوفاء بالوعد والوعيد.

سابعاً: أن يبتعدا ـ قدر المستطاع ـ عن كثرة اللوم والعتاب وإظهار العيوب.

ثامناً: أن يتحينا الوقت المناسب للتوجيه ويتخولا الموعظة الحسنة.

تاسعاً: أن يلتزما الدعاء للأبناء لا عليهم.

مقومات شخصية الوالدين اللازمة لتنشئة الفتاة المسلمة

تمهيد:

بعد أن تناولت في الفصول السابقة الدور التربوي الذي يجب أن يضطلع به الوالدان في تنشئة الفتاة المسلمة؛ يمكن القول إن هذا الدور قلَّما يُكتب له النجاح ما لم يكن الوالدان مؤهلَيْن للقيام بهذا الدور؛ وذلك من خلال بعض الصفات والمقومات التي يلزم توافرها في شخصيتهما، والتي تكون عوناً لهما وهما يضطلعان بهذا الدور التربوي الهام؛ وخاصة أنهما في مركز القدوة التربوية.

وفيما يلي بعض هذه المقومات التي أرىٰ أهمية توافرها في الوالدين ليتمكنا من القيام بدور بنَّاء في تنشئة الفتاة المسلمة:

أولاً: اختيار كل من الزوجين للآخر على أساس الدين والخلق:

فالشريعة الإسلامية لم تترك الطفل دون رعاية أو حماية، بل عملت علىٰ رعايته وحفظ حقوقه في مختلف مراحل حياته، من حين نشأته وتكوينه في بطن أمه، وبعد خروجه إلىٰ الدنيا حتىٰ يبلغ رشده ويعتمد علىٰ نفسه، وليس هذا فحسب، بل عنيت به قبل وجوده بدعوتها الصريحة للرجال إلىٰ اختيار الزوجات ذوات الدين، والخُلُق الكريم، والمنبت الحسن، والصحة السليمة، حتىٰ تسري إلىٰ الأولاد عناصر الخير وصفات الكمال[1]؛ فالإسلام يقرر حقيقة توارث الأمراض، والصفات، والأخلاق، حيث يقول ـ عز وجل ـ: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا**

(١) الطفل في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد الصالح، ص: ٧.

﴿كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

ومما ثبت في علم الوراثة أن الولد قد يرث عن والديه الخصائص الخِلْقية والخُلُقية لهما، وقد قال أحد المتخصصين: إن الزواج بين أولاد الأشقياء، أو السكيرين، أو المصابين بالزهري، أو حاملي العيوب الخلقية الوراثية يعتبر جريمة جديرة بالعقاب(١).

يقول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٢)، فمما يساعد الأب على تربية طفله ورعايته في العملية التربوية الزوجة الصالحة التي تتفهم دورها ووظيفتها وتقوم بهما على أحسن وجه؛ ومن ثم فإنه ينبغي للرجل أن يتخير المرأة ذات الخُلُق الحميد، والدين القويم، والتي ترعرعت في بيئة صالحة، ونشأت في بيتٍ عرف بالطهر والشرف، وألا يكون همُّه الاقتران بامرأة ذات جمال وفتنة من غير مبالاة بما هي عليه من دين وخُلُق؛ لأن المرأة المتدينة وإن خلت من الجمال الحسي ـ وهو أمر اعتباري يختلف تقديره من فرد إلى فرد ـ فإن لها نصيباً من جمال النفس، ونضارة القلب، والسلوك المستقيم(٣)، وهي قادرة على النهوض بأعباء الأمومة؛ ولذلك فإن رسول الله ﷺ شدد على لزومها لأن مثل هذه تقر العين بها، وتؤتمن على نفسها، ومال زوجها، وتربية أولاده، فتغذيهم بالإيمان مع الطعام، وتُسمعهم من ذكر الله تعالى، ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يُشربهم التقوى، ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا(٤).

---

(١) علم النفس التربوي في الإسلام، يوسف مصطفى القاضي، ومقداد يالجن، ص: ٩١، ٩٢.
(٢) أخرجه البخاري، ك/ النكاح، ب/ الأكفاء في الدين، رقم ٥٠٩٠؛ ومسلم، ك/ الرضاع، ب/ استحباب نكاح ذات الدين، رقم ١٤٦٦.
(٣) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٤١٦.
(٤) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص: ٢٩.

فالأم هي المدرسة التي يتخرج فيها الأولاد، وحسن اختيارها ينشأ عنه نجابة الولد واستقامته وصلاح أمره، ولهذا يتعين على الأب بذل المزيد من الجهد في سبيل اختيار الأم لما لها من أثر عميق، ودور كبير في حياة الأسرة، وتماسك بنيانها(١).

ويعتبر الماوردي(٢) اختيار الزوجة حق الولد على أبيه، فيقول: «فمن أول حق الولد أن ينتقي أمه، ويتخير قبل الاستيلاد منهن الجميلة الشريفة، الدينة العفيفة، العاقلة لأمورها، المرضية في أخلاقها، المجربة بحسن العقل وكماله، المواتية لزوجها في أحواله»(٣).

ومما يؤكد ذلك إقراره ﷺ للنظرة التربوية التي نظرها جابر بن عبد الله في اختياره لزوجته لتقوم بمهام تربوية في بناء أخوات صغيرات له، بالإضافة إلى أبنائه في المستقبل، وذلك ورد في حديث طويل حين قال لرسول الله ﷺ حين سأله: «هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟ فقلت تزوجت ثيباً، فقال: هلاَّ بِكراً تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسول الله، توفي والدي، أو استشهد، ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً لتقوم عليهن وتؤدبهن»(٤).

ومن ثم فإن الزوجة الصالحة هي الكنز الحقيقي الذي يدخره الرجل في دنياه وآخرته، ورد عن ثوبان أنه قال: «لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] قال: كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أُنْزل

(١) الطفل في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد الصالح، ص: ٨، ٩.
(٢) أبو الحسن علي بن محمد، فقيه سياسي قاض محدِّث مفسر لغوي أديب، ولد في البصرة عام ٣٦٤هـ، وتوفي عام ٤٥٠هـ.
(٣) نصيحة الملوك، أبو الحسن علي الماوردي، ص: ١٦٤.
(٤) أخرجه البخاري، ك/ الجهاد والسير، ب/ استئذان الرجل الإمام، رقم ٢٩٦٧؛ ومسلم، ك/ صلاة المسافرين وقصرها، ب/ استحباب نكاح البكر، رقم ٧١٥.

في الذهب والفضة ما أنزل، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[١].

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد ندبت الرجال إلى حسن اختيار النساء، فقد حثت المرأة وأولياءها عند العزم على تزويجها أن يجتهدوا في انتقاء الرجل الكفء الذي يتمتع بالخلق الحميد، والدين القويم، ولديه القدرة على حمل الأمانة، وصيانة المرأة، والوفاء بجميع حقوقها، والذي إذا أحبها أكرمها، وإذا أبغضها لم يهنها[٢]، فقد ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه؛ إلاَّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[٣].

فقد بيَّن المصطفى ﷺ للآباء ما ينتظرهم من الأخطاء الجسيمة، والمفاسد الكبيرة إذا هم لم يحسنوا اختيار الأزواج لبناتهم، كما هدى إلى الركيزة الأساسية في اختيار المرأة للرجل، وكان ذلك بالمفاضلة بين رجلين أحدهما تظهر عليه علامات اليسر المادي والمكانة الاجتماعية، وأما الثاني فقد خلا حاله منهما، لكنه قد تزين بالإيمان والتقوى؛ فقد روى الإمام البخاري بسنده عن سهل قال: «مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يشفَّع، وإن قال أن يُستمع. قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري أن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يستمع. فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء

(١) أخرجه الترمذي، ك/ تفسير القرآن، ب/ ومن سورة التوبة، رقم ٣٠٩٤، وقال: هذا حديث حسن. و﴿يَكْنِزُونَ﴾: الكنز: ادخار المال دون أداء زكاته، انظر: برنامج موسوعة الحديث الشريف.

(٢) الطفل في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد الصالح، ص: ٩.

(٣) أخرجه الترمذي، ك/ النكاح، ب/ ما جاء «إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه»، رقم ١٠٨٤. وحسنه بطرقه؛ وابن ماجه، ك/ النكاح، ب/ الأكفاء، رقم ١٩٦٧.

الأرض مثل هذا»[١].

فالزوج المتدين يعرف حقوق ربه، ويعرف واجباته نحو نفسه وزوجه فلا يقصِّر في واجب؛ وعليه فإن حال الأسرة لا تستقيم ولا يصلح شأنها مع وجود خلل أو فساد في أحد أركانها، وهذا لا يتأتى إلا بأن يوفق كل من الزوجين في حسن اختياره للآخر، فإذا وُجِد الأبوان الصالحان السليمان في الدين والخلق وجد غالباً الولد الصالح، فالبذرة الصالحة السليمة المتمثلة في ماء الرجل، والتربة الصالحة السليمة المتمثلة في المرأة، تنتجان النبتة السليمة غالبا[٢]؛ ذلكم أن الأبوين الصالحين ـ كما تقدم ـ هما الأساس لإيجاد الأسرة الصالحة، والفرد الصالح، فإذا كان الأساس سليماً يكون ما بني عليه سليماً، والعكس صحيح.

ثانياً: أن يكونا مسلمَيْن بالمعنى الحقيقي للإسلام:

فمن البديهيات أن تكون الأم والأب مسلمَيْن ليتمكنا من تربية الأولاد تربية إسلامية، ومن أجل تنشئة جيل قادم على مبادئ الإسلام. ولكن الإسلام تربية وممارسة عملية، وليس دعوى تدعى، ولا ألفاظ تقال، والتنشئة على الإسلام لا بد لها من جو معين ينشأ فيه الصغير بحيث يتلقى فيه تعاليم الإسلام، ويتشرب روحه، ويمارسه ممارسة فعلية، ويتكون منه في نفسه رصيد واقعي، وبغير ذلك يكون الإسلام صورة بغير واقع، أو دعوى بلا رصيد؛ ذلك أن الإسلام نزل من عند الله ليطبق، ويمارس، ويعاش في واقع الحياة، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [**النساء**: ٦٤]، كما أنه ليس بدعوى فارغة، ولا أمنية تتمنى، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن**

(١) أخرجه البخاري، ك/ النكاح، ب/ الأكفاء في الدين، رقم ٥٠٩١.

(٢) معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث، محمد عبد الله عرفة، أبحاث الندوة العلمية السابعة، ص: ٧٥.

يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ ـ ١٢٤].

كما أن الإسلام كذلك ليس بميراث يورث بغير وعي؛ إنما هو ميراث حي ينبغي أن يورث بالتربية الواقعية ليصبح رصيداً ذاتياً للجيل الناشئ، يعيشونه في عالم الواقع، ويورثونه بدورهم لمن يليهم من الأجيال على نفس الصورة؛ صورة الممارسة الفعلية، والتربية الواقعية، ولقد كان كذلك خلال قرون متطاولة من الزمان، ولكن الوهن التدريجي سرى إلى المسلمين فتخلخلت قبضتهم رويداً رويداً عن حبل الله الذي أمرهم أن يعتصموا به في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، حتى جاءت أجيال أخذت الكتاب وراثة ليس غير، فانقطع الحبل المتصل.

ومن ثم فإن الأصل في الإسلام أن يسلمه كل جيل إلى الجيل الذي يليه أمانة حية فاعلة في واقع الحياة، ذات رصيد واقعي متمثل في سلوك عملي إلى جانب التصورات والمشاعر؛ سلوك عملي يترجم مفاهيم الإسلام، وتصوراته، ومبادئه، وأخلاقياته إلى واقع ملموس، ولا يكون هذا ـ بداهة ـ إلا بأن يكون الأب والأم ذاتهما مسلمَيْن بالمعنى الحقيقي للإسلام، لا إسلام الأسماء، ولا شهادات الميلاد، فالأب والأم وأي إنسان لا يستطيع أن يعطي إلا من الرصيد الذاتي الذي يملكه، وفاقد الشيء لا يعطيه؛ فإن لم يكن لهم ذلك الرصيد الذاتي من الإسلام فإنهم لا يستطيعون أن ينشِّئوا غيرهم عليه[1]؛ ولذلك فإن تربية الناشء المسلم تبدأ من نقطة سابقة كثيراً على مولده، وهي وجود أبوين مسلمَيْن هما ذاتهما قد تربيا على الإسلام، فبمقدار رصيدهما الذاتي من التربية الإسلامية يكون التوقع لثمرة تربيتهما له.

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢ / ١٠٠ ـ ١٠١.

والأب المسلم والأم المسلمة شخصان يعتقدان بوجود إله واحد، ويوقران هذا الإله، وتظهر في تصرفاتهما آثار هذا التوقير بالتزام أوامره، وعدم التبجح بالخروج عليها، وإن وقعت منهما هفوات فلا يصرّان عليها، بل يعودان إلى الله ويستغفران لذنوبهما[1]، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

ثالثاً: أن يكون الوالدان مثقفَيْن:

فثقافة الزوج والزوجة عامل هام ومؤثر في عملية التربية، ولا تقتصر الثقافة المطلوبة منهما على حدود القدرة على القراءة والكتابة، أو كونهما حاصلَيْن على الشهادات الدراسية، إنما تشمل الثقافة العامة الضرورية التي يجب أن تتوافر في كل أب وأم ليسلم بناء الأسرة ويقوى، وأهم موضوعات هذه الثقافة العلم إجمالاً بحق الله تعالى، وبالحلال والحرام، والواجب والمندوب، والمباح والمكروه من الأفعال والأقوال، والحقوق المتبادلة بين الزوجين، وحقوق الأولاد، وأساليب التربية، وأساليب كيد الأعداء للإسلام والمسلمين، والعلم بأهمية توفير القدوة الصالحة في الوالدين، والتزام الأخلاق الفاضلة، ومعرفة الخصائص العامة لنمو الطفل والمراهق لكي يعملا على إشباع مطالبهما وحاجات نموهما بما يتناسب مع قدراتهما واستعداداتهما، وبما يجنبهما عوامل الإحباط والقلق والصراع، ويحقق لهما التوافق النفسي والاجتماعي؛ ذلك أن معرفة الوالدين بالخصائص العامة لنمو النشء أمر بالغ الأهمية؛ وذلك لكي يتسنى لهما القيام بدورهما التربوي تجاه تنشئة هذا النشء تنشئة إسلامية، تتلاءم مع نموه وتطور خصائصه في الجوانب كافة.

---

(١) المرجع السابق والجزء، ص: ١٠٣، ١٠٤.

وافتقار البيت المسلم ـ في المجتمع المعاصر ـ إلى الأصول العامة للثقافة والتربية الإسلامية، قد أوقع النشء فريسة للاتجاهات السلوكية والفكرية المنحرفة، ومن هنا تظهر أهمية العمل على الارتفاع بمستوى ثقافة الآباء والأمهات(١)؛ ولذا فإنه مما ينبغي على الوالدين إذا واجهتهما معضلة أو مشكلة في عملية التربية أن يسألا المختصين من أهل الصلاح والاستقامة؛ لأنهم أوْلى الناس بالمناصحة والدلالة على الخير، كما ينبغي عليهما أن يوليا التربية جل عنايتهما، وعظيم اهتمامهما، وأن يحرصا ـ كما سبق ـ على امتلاك ما يعينهما على ذلك من الكتاب القيِّم، أو الشريط الموجِّه، وإذا وجدا وَالِدَيْن قد وفقهما الله إلى تربية أولادهم تربية صالحة راشدة فعليهما ألا يتحرجا بسؤالهما عن أقوم الطرق التي اتبعاها في تلك التربية، وقبل ذلك كله عليهما أن يقتفيا أثر رسول الله ﷺ، ويتبعا سنته، ويطَّلعا على سيرته، فكلما مر بهما موقف من مواقفه ﷺ مع الناشئة سواء كان هذا الموقف كلاماً، أو فعلاً، أو تقريراً فعليهما أن يجعلا من هذا الموقف منهجاً لتعاملهم مع أولادهم(٢).

رابعاً: أن يكون الوالدان قدوة حسنة، ومثلاً طيباً في جميع جوانب الحياة:

اهتم الإسلام في تربيته بالقدوة فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى مسألة هامة في التربية والإرشاد، وهي أنه حتى ينجح الوالدان في عملهما التربوي يجب أن يكون هناك توافق تام بين سلوكهما وبين ما يطالبان به الأبناء، ولقد نبه الله ـ تعالى ـ إلى هذه الحالة، ونعى على المسلمين أن تخالف أفعالهم أقوالهم، فقال

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٤١٨.
(٢) من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد عبد الله السحيم، ص: ١٧، ١٩.

ـ عز من قائل ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [**الصف**: ٢ ـ ٣]، كما أنكر على أحبار اليهود مثل هذه الحال؛ حيث أمروا الناس بغير ما فعلوا أو ساروا عليه، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [**البقرة**: ٤٤]، فالقرآن الكريم يؤكد أهمية القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة وأثرها في تهذيب الطباع، وتقويم السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة، كما يدعو إلى الاقتداء برسول الله ﷺ فهو الأسوة الحسنة لمن أراد أن يُجمِّل نفسه بالفضائل الأخلاقية والاجتماعية ليكون محموداً عند أفراد مجتمعه؛ فمما ورد عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه[١]، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[٢].

وحاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع وهي التقليد، وهي رغبة ملحَّة تدفع الطفل إلى محاكاة سلوك والديه؛ لذلك كان لا بد له من قدوة في والديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية، وينهج النهج الرفيع[٣].

فتأثر الأبناء بالآباء والأمهات شديد، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٤]؛ وذلك لأن الإنسان في مراحل حياته الأولى

---

(١) أي تخرج أمعاؤه، انظر: المراهقون، سمير جميل الراضي، ص: ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، ك/ بدء الخلق، ب/ صفة النار، وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٦٧؛ أخرجه مسلم، ك/ الزهد والرقائق، ب/ عقوبة من يأمر بالمعروف ولايفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، رقم ٢٩٨٩، واللفظ له.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) أخرجه البخاري، ك/ الجنائز، ب/ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه...، رقم ١٣٥٨؛ ومسلم، ك/ القدر، ب/ معنى «كل مولود يولد على الفطرة...»، رقم ٢٦٥٨.

يتأثر بالمشاهدة أصلاً ـ أي بالتقليد والمحاكاة ـ قبل قدرته على استعمال النظر العقلي، وهذا يوجب على الوالدين أن يكونا في حالة يقظة دائمة، ومراقبة لكل ما يصدر عنهما من أقوال وأفعال وعلاقات، وخاصة علاقتهما بالله سبحانه وتعالى، وبالفرائض التي فرضها على عباده[١]؛ وذلك لأن الطفل عن طريق التقليد والمحاكاة لمجتمع الكبار من حوله يكتسب معايير الجماعة، والقيم والاتجاهات، وتنمو لديه نوازع الخير، أو ما يسمَّى بالضمير، وهذا ما أبرزته السنة النبوية، ودعت إلى وجوب مراعاته بالتبصر الحكيم من طرف الآباء، وأن يكونوا القدوة المثلى في الخلق القويم، والسلوك الكريم، وضبط النفس، والتحلي بالفضائل والخصال الحميدة، قال ﷺ: «. . . والرجل راع على أهل بيته؛ وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده؛ وهي مسؤولة عنهم. . . الحديث»[٢].

ومن مسؤوليات الرعاية التي يشير إليها الحديث الشريف أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهما في التقوى والصلاح، وحسن الخلق، والتمثل بالقيم والآداب الاجتماعية[٣]؛ فالطفل لا بد أن يرى فعلاً أن ما يطلب منه من سلوك مثالي أمر واقعي ممكن التطبيق، وأن السعادة الحقيقية لا تكون إلا في تطبيقه، لذلك كان لا بد للوالدين من التحلي بأفضل الأخلاق، يستلهمانها من القرآن، ومن سيرة الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، ويصبران على تطبيقها، والتحلي بها[٤].

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي، ص: ٥١٩.
(٢) سبق تخريجه ص ١٩٩.
(٣) تربية الأولاد والآباء في الإسلام، المبروك عثمان أحمد، ص: ١٣٦.
(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص: ٢٥٧، ٢٥٨.

والأطفال بمراقبتهم لسلوك الكبار فإنهم يقتدون بهم، فإن وجدوا أبويهما صادقين سينشؤون على الصدق، وهكذا في باقي الأمور، وهذا هو ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في طفولته عندما شاهد الرسول ﷺ يقوم الليل سارع لذلك فتوضأ ولحق برسول الله ﷺ، يحكي ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ذلك فيقول: بِتُّ عند خالتي ميمونة ليلة فنام النبي ﷺ، فلما كان في بعض الليل قام رسول الله ﷺ فتوضأ من شَنٍّ معلَّق وضوءاً خفيفاً، ثم قام يصلي، فقمت فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره فحوَّلني فجعلني عن يمينه، ثم صلَّى ما شاء الله... الحديث»[(١)]، فلقد توضأ الطفل على نحو ما رآه، ثم وقف يصلي، وهكذا تكون القدوة الحسنة المؤثرة في الطفل[(٢)].

وأشير في ختام هذا العنصر إلى ضرورة كون الأم ـ بصفة خاصة ـ قدوة إيجابية لبناتها وخاصة في الحجاب وفي العبادة؛ فالذرية التي تستيقظ فجراً فترى الأم تصلي صلاة الفجر، وتقرأ القرآن أو تستمع إليه، وتصلي الضحى، وتأمر النساء بالمعروف، وتنهاهن عن المنكر، وتزور المسلمات في الله، وتعود المريضة، وتحسن الخلق مع الناس، وإذا ما جاء الليل تقومه، وهي في نهارها صائمة، تدعو ربها للأمَّة ولأجيالها ولبيتها، هذه الأم لها أثر عظيم على بناتها، بخلاف الأم التي تنام عن الصلوات، وأولادها ما رأوها تقرأ القرآن مرة، صاحبة غيبة وكذب وخلق سيئ، لا تركع الضحى، ولا تصوم النافلة، ولا تقوم الليل، لا وقت للدعاء عندها، ما رأوها تبكي من خشية الله، ولا طافت حول البيت العتيق، فمثل هذه الأم سيخرج من تحت يديها ذرية لا تعرف إلى القرآن سبيلاً، ولا إلى العبادة أداءً ـ إلا من رحم الله[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ الأذان، ب/ وضوء الصبيان...، رقم ٨٥٩، ومسلم، ك/ صلاة المسافرين وقصرها، ب/ الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم ٧٦٣.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص: ٣١٢.

(٣) صفات الأم المسلمة، عبد الله حمود البوسعيدي، ص: ٣٣.

يقول محمد قطب: من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، ولكن هذا المنهج يظل حبراً على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ فقط يتحول إلى حركة . . . يتحول إلى حقيقة[1] .

خامساً: أن يتصفا بالرحمة والرفق واللين في غير إسراف:

من الأمور التي يكاد يجمع علماء التربية عليها أن الناشئ إذا عومل من قبل أبويه المعاملة القاسية، وأُدِّب من قِبَلهم بالضرب الشديد، والتوبيخ القارع، والتحقير والازدراء، و التشهير والسخرية؛ فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخُلُقه، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله، وقد يؤول به الأمر إلى الانتحار حيناً، أو إلى مقاتلة أبويه أحياناً، أو إلى ترك البيت نهائياً تخلصاً مما يعانيه من القسوة الظالمة، والمعاملة الأليمة.

والإسلام بتعاليمه القويمة الخالدة يأمر كل من كان في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية ولا سيما الآباء والأمهات منهم، يأمرهم جميعاً أن يتحلوا بالأخلاق العالية، والمعاملة الرحيمة حتى ينشأ النشء على الاستقامة، ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية حتى يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة[2]، يقول ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ [**النحل**: ٩٠]، ويقول ـ سبحانه ـ في آية أخرى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٣٤]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [**البقرة**:

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١ / ١٨٠.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ١ / ١٢٦.

٨٣]، كما يقول ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. [آل عمران: ١٥٩].

ومما ورد عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»(١)، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبِّلون الصبيان!! فما نقبِّلهم. فقال النبي ﷺ: «أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»(٢).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: «أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمَّه»(٣)، ويقول ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٤)، ويقول ﷺ أيضاً: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٥)، ويقول أيضاً: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»(٦)، ويقول في حديث آخر: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»(٧).

وعن عائشة: «إن النبي ﷺ وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه، فدعا

(١) أخرجه البخاري، ك/ الأدب، ب/ وضع الصبي على الفخذ، رقم ٦٠٠٣.
(٢) أخرجه البخاري، ك/ الأدب، ب/ رحمة الولد...، رقم ٥٩٩٨، ومسلم، ك/ الفضائل، ب/ رحمة الصبيان والعيال...، رقم ٢٣١٧.
(٣) أخرجه البخاري معلقاً، ك/ الأدب، ب/ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.
(٤) أخرجه الترمذي، ك/ البر والصلة، ب/ ما جاء في رحمة الناس، رقم ١٩٢٤، وقال: حسن صحيح؛ وأبو داود، ك/ الأدب، ب/ في الرحمة...، رقم ٢٥٩٤.
(٥) أخرجه مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ فضل الرفق، رقم ٢٥٩٤.
(٦) أخرجه البخاري، ك/ استتابة المرتدين...، ب/ إذا عرَّض الذمي وغيره بسبِّ النبي ﷺ...، رقم ٦٩٢٧؛ ومسلم، ك/ السلام، ب/ فضل الرفق، رقم ٢٥٩٣.
(٧) أخرجه مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ فضل الرفق، رقم ٢٥٩٣.

بماء فأتبعه»[١]، ولم يتضايق منه، ومما ورد أنه كان ﷺ: «يصلي وهو حامل أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها»[٢].

وعن أبي أمامة أن امرأة أتت النبي ﷺ تسأله ومعها صبيان لها، فأعطاها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحد منهما تمرة، قال: ثم إن أحد الصبيين بكىٰ، قال: فشقَّتها فأعطت كل واحد نصفاً، فقال رسول الله ﷺ: «حاملات والدات رحيمات بأولادهن لولا ما يصنعن بأزواجهن لدخل مصلياتهن الجنة»[٣]، وقال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم علىٰ النار؟ أو بمن تحرم عليه النار؟ علىٰ كل قريب هين سهل»[٤]، ومما ورد عنه ﷺ في رحمته بالأولاد ما قاله أبو ليلىٰ: «كنت عند رسول الله ﷺ وعلىٰ صدره أو بطنه الحسن أو الحسين، قال: فرأيت بوله أساريع، فقمنا إليه، فقال: دعوا ابني لا تفزعوه حتىٰ يقضي بوله. ثم أتبعه الماء»[٥].

كانت الأدلة السابقة نموذجاً تربوياً فريداً وقدوة واقعية للوالدين إن أرادا أن يتمثلا المنهج التربوي الصحيح في مجال تربية الأولاد، والصبر عليهم ومراعاة حالهم؛ فهي توجيهات إسلامية في لين الجانب، وحسن القول، وفضيلة المعاملة، وهي تحدد أسلوباً هاماً لسلوك الوالدين تجاه أولادهم، فالبرحمة

(١) أخرجه البخاري، ك/ الأدب، ب/ وضع الصبي في الحجر، رقم ٦٠٠٢؛ ومسلم، ك/ الطهارة، ب/ حكم بول الطفل الرضيع...، رقم ٢٨٦.
(٢) أخرجه البخاري، ك/ الصلاة، ب/ إذا حمل جارية صغيرة علىٰ عنقه في الصلاة، رقم ٥١٦، ومسلم؛ ك/ المساجد ومواضع الصلاة، ب/ جواز حمل الصبيان في الصلاة، رقم ٥٤٣.
(٣) رواه أحمد بهذا اللفظ (٥/ ٢٥٢)، رقم ٢١٦٦٩؛ وابن ماجه، ك/ النكاح، ب/ في المرأة تؤذي زوجها، رقم ٢٠١٣، وأصل القصة في البخاري (٧/ ٧٤).
(٤) أخرجه الترمذي، ك/ صفة القيامة...، رقم ٢٤٨٨، وقال: حسن غريب.
(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٤٨)، رقم ١٨٥٨٠، ورجاله ثقات.

والعطف على الأبناء يشبُّون أسوياء رحماء في معاملاتهم على من دونهم.

لذا كان لا بد أن تكون علاقة الوالدين بأولادهم (بنين وبنات) علاقة مبنية على الحب، وقائمة على الود والألفة، وليست علاقة السيد بالمسود؛ لأنها فوق ذلك حباً وتفانياً، ودون ذلك تجبراً، كما لا بد على الوالدين ألا يقيما بينهما وبين أولادهم حاجزاً نفسياً أساس بنائه هيبة كاذبة، وألا يتطامنا من نفسيهما في كثرة المزاح والعبث فيزدروهم، ولكن بين ذلك وذلك، فيأخذا من المرح والضحك ما يؤلف القلوب ويذهب الجفاء[١]، دون زيادة عن الحد الطبيعي، وكذلك مما يلزمهما ألا يتجاوزا الحد من ناحية الرفق واللين والتسامح والتساهل والصفح مع الأولاد بحيث يكون الولد أو البنت بؤرة اهتمام والديه، وتجاب له جميع مطالبه، بل عليهما أن يدركا بأن هناك قدراً مضبوطاً من الحب والحنان والرعاية هو المطلوب، وأن الزيادة فيه كالنقص، كلاهما مفسد لكيان النشء، فالزيادة تؤدي إلى التدليل، والتدليل يؤدي إلى رخاوة الكيان النفسي للناشئ، والرخاوة عيب في البناء تجعله غير متماسك، وغير صالح للاعتماد عليه في مهمات الأمور[٢].

ويؤكد البروفيسور «كريستان غاي»[٣] أن الإحباط النفسي غالباً ما يظهر كظاهرة مرضية في سن المراهقة، ويبدأ على شكل إحساس بالكآبة، يرافقه شعور بعدم الرضا النفسي، وإحساس واضح بالدونية، وقد تتفاقم حدة الإصابة بهذا المرض إذا لم يؤد الوالدان دورهما بحرص شديد، وبعد عن القسوة، والتدليل الزائد[٤].

يقول محمد الخضر وهو ينبِّه إلى ضرورة التوازن في حب الطفل: «ولكن

(١) من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد عبد الله السحيم، ص: ١٠٢، ١٠٣.
(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢/ ١١١.
(٣) طبيب نفساني في مستشفى «سات-آن» بباريس.
(٤) متاعب المراهقة، مركز المعلومات والأبحاث الصحفية، مجلة الثقافة الصحية، ص: ٢١، ٢٢.

فرط الرأفة الذي ينشأ من التغالي في حبهم يكسر من صلابة الآباء شيئاً كثيراً، فيدفعهم عن مكافحة طباع أبنائهم الرديئة ومقاومتها بالتأديب»[١] .

إن خوف الوالدين الزائد على أولادهما ـ بسبب فرط الحب ـ يؤدي إلى قتل كل معاني الإقدام في أنفسهم، ويملؤها رعباً وهلعاً من المجهول، وخوفاً من كل شيء، وتوجساً من أي شيء، كما يؤدي إلى فقدانهم الاطمئنان إلى أنفسهم وقدراتهم، ويجعلهم رهيني الوهم، وحبيسي الخوف الموهوم من كل فعل.

سادساً: أن يتصفا بالتواضع، والصدق، والوفاء بالوعد والوعيد:

يجب أن يعلم الوالدان بأن الاعتراف بالحق فضيلة، والرجوع إليه خير من التمادي في الخطأ، وأنهما إذا أرادا النجاح في العملية التربوية للأبناء فعليهما أن يذعنا للحق، ويتراجعا عن خطئهما إذا أخطآ، ويعلِّما أولادهما هذا الخلق العظيم، ويبينا لهم فضل التواضع، والرجوع إلى الحق[٢] . ورد عن ابن وهب أنه قال: سمعت مالكاً سُئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء، فقال: ليس ذلك على الناس، قال: فتركته حتى خفَّ الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة، وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه. فقال: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك يُسأل فيأمر بتخليل الأصابع[٣].

---

(١) السعادة العظمى، محمد الخضر حسين، ص: ٦٠.

(٢) نداء إلى المربين والمربيات لتوجيه البنين والبنات، محمد جميل زينو، ص: ١٢، ١٣.

(٣) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، باب ما ذكر من اتباع مالك لآثار رسول الله ﷺ، ص: ٣١، ٣٢.

وكما أن التواضع خُلُق عظيم، فكذلك الصدق خُلُق عظيم وكله خير، وينبغي للوالدين أن يلتزماه، ومن ثم يزرعاه في نفوس أبنائهما، ويحببا هم به، ويعوداهم عليه، ويكونا مطبقين له في أقوالهما وأفعالهما، حتىٰ في مزاحهما معهم، فقد كان الرسول ﷺ - وهو القدوة - يمزح ولا يقول إلا حقاً؛ ومن ثم عليهما أن يحذرا الكذب مازحَيْن أو متأولَيْن. وإذا وعدا بشيء التزما الوفاء بالوعد حتىٰ يتعلم أولادهما الصدق منهما والوفاء قولاً وعملاً؛ وذلك لأن الأبناء يعرفون الكذب ويدركونه وإن لم يستطيعوا مجابهة الوالدين به حياءً وخوفاً منهما[1]، فإذا أظهر الوالدان ما لا يبطنان وشعر الأبناء بعدم صراحتهما في المواقف التي يقفون فيها؛ فإنهم يربكون في المواقف الأخرىٰ عندما يحاولون أن يعرفوا آراءهما؛ لأنهم لا يطمئنون إلىٰ صراحة مواقفهما وصدقهما فيما يبدونه من آراء[2].

وإن من التصرفات التي تؤدي إلىٰ فقد ثقة الأبناء بالآباء أن يعتقد الوالدان أن الطفل لا يحيط ولا يربط بين سائر التصرفات التي توجه إليه، فيعداه ولا ينجزا وعدهما، ثم يعداه وقد نسيا خلف وعدهما الأول ولكن الطفل لم ينس، ولن يستجيب للوعد الثاني وإن كان مغرياً؛ لأنه اعتاد عدم صدق والديه - أو أحدهما - ومنها أن يتوعداه بإنزال عقوبة إن فعل هذا أو تخلف عن ذاك، وقد تكون العقوبة أو الوعيد بأمور لا يمكن أن تتحقق، كأن يتوعداه بقول: (إن فعلت كذا ذبحتك، أو كسرت يدك. . . . أو ما شابه ذلك من عبارات التهويل والتخويف) وبينما هو علىٰ هذه الحال - خوفاً من الوقوع في الخطأ، وخوفاً من العقوبة - إِذْ سها وغفل ففعل ما حُذِّر منه أو نهي عنه ثم يفاجأ أن تلك العقوبة لم تنفذ، فيتكرر هذا

(١) نداء إلىٰ المربين والمربيات لتوجيه البنين والبنات، محمد جميل زينو، ص: ١٤، ١٥.
(٢) بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مقداد يالجن، ص: ١٤٦.

الموقف مرات، وتهديد لا يقع، ووعيد لا يأتي، فحينئذ تفقد كلمات الوالدين ـ أو أحدهما ـ صداها، ويتساوىٰ لدىٰ الولد[١] الوعد والتحذير. وهذا خُلُق ذميم لا يليق بمؤمن، ويتولد عنه جفوة وقسوة تحول بين الولد ووالديه، وتمنعه من مصارحتهما، فيحتفظ بأسراره ومشاكله، ويضطر إلىٰ الكذب فيفقد الوالدان الثقة فيه، كما يتولد عنه كون الوالدين قدوة غير صالحة لولدهما، ونتيجة لذلك تظهر علىٰ النشء آثار سيئة ـ خاصة في مرحلة المراهقة ـ منها:

ـ إذا فقد الولد الثقة في كلام والديه، وفقد صدقهما كليهما، واعتاد خلف وعدهما، واحتاجا أن يحذراه ـ مثلاً ـ من مغبة أصحاب السوء، وأن يبينا له خطر هذا الأمر علىٰ عقيدته ودينه وخلقه فلن يقبل التوجيه، ولن يصغي إلىٰ النصح؛ لأنه يظن أن هذا الكلام كسابقه ينقصه الصدق، ويفتقر إلىٰ اليقين.

ـ حينما تفقد الثقة فلا بد أن يلجأ الولد إلىٰ من يثق به من صديق أو أستاذ، فإن كان الأستاذ أو الصديق صالحاً فلا خوف علىٰ الولد، وإن كان الأستاذ أو الصديق رقيق الدين وسيئ الخلق فسوف تتعاظم مشاكل الولد.

ـ ألا يجد أذناً صاغية فيشتغل بهمومه وآلامه ولا يجد من يخرجه منها، فيؤثر العزلة، ومن ثم يعجز عن مواجهة الحياة[٢].

سابعاً: أن يبتعدا ـ قدر المستطاع ـ عن كثرة اللوم والعتاب وإظهار العيوب:

فرسول الله ﷺ ما كان يكثر العتاب علىٰ تصرفات الطفل وأفعاله، أو يلجأ كثيراً إلىٰ التوبيخ والتأنيب، فهذا أنس ـ رضي الله عنه ـ يخدم النبي ﷺ عشر

(١) سبق أن أشرت إلىٰ أنه إذا أطلق لفظ الولد شمل الذكر والأنثىٰ.
(٢) من أخطائنا في تربية أولادنا، محمد عبدالله السحيم، ص: ٩٨ ـ ١٠٢.

سنين متوالية فيصف تربية الرسول ﷺ: «فو الله ما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لم تصنع هذا هكذا؟»(١).

وهذا الأسلوب من الوالدين يزرع في نفس الولد دقة الملاحظة، وروح الحياء، ولكن عندما يلجأ الوالدان إلى لومه وعتابه وإظهار عيوبه؛ فإنهما يعيبان على نفسيهما لأنهما هما اللذان أخرجاه، وكان حرياً بهما أن يسارعا إلى تربيته، كما أن كثرة الملامة والعتاب في كل وقت تميت قلب الولد، وتهوِّن عليه الملامة وركوب القبائح، وتهون عنده العقوبة، يقول ابن قدامة: « ومتى ظهر من الصبي خُلُق جميل، وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال تغوفل عنه ولا يكاشف، فإن عاد عوتب سراً، وخُوِّف من اطلاع الناس عليه، ولا يكثر عليه العتاب؛ لأن ذلك يهوِّن عليه سماع الملامة، وليكن حافظاً هيبة الكلام معه»(٢).

ومن الملاحظ أن كثرة التأنيب تميت القلب، وكلمة صغيرة من الثناء والمدح تكفي للإصلاح، ولتهذيب الخلق وتقويمه(٣)، وخاصة أن لدى الطفل ميلاً طبيعياً لحب الثناء والظهور، وحاجة إلى التشجيع لكي يستمر على الاجتهاد الدائم في إصلاح نفسه؛ ولذلك كان على الوالدين ضرورة ملاحظة ذلك، وأن يتخذا من المدح والثناء، والابتعاد عن اللوم والتجريح، وإساءة الظن، وسيلة لتحقيق ما يريدانه من العادات الحسنة لدى الأبناء، وتهذيب أخلاقهم، وتعويدهم فعل الخير، واجتناب الشر(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ الديات، ب/ من استعان عبداً أو صبياً، رقم ٦٩١١؛ ومسلم، ك/ الفضائل، ب/ كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، رقم ٢٣٠٩.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن قدامة المقدسي، ص: ١٦٠.

(٣) الطفل في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد الصالح، ص: ٢١١.

(٤) التربية الإسلامية وطرق تدريسها، عبد الرشيد عبد العزيز سالم، ص: ٢٥، ٢٦.

ثامناً: أن يتحينا الوقت المناسب للتوجيه، ويتخولا الموعظة الحسنة:

إن لاختيار الوالدين الوقت المناسب في توجيه أولادهم إلى ما يريدان وما يحبان دوراً فعالاً في أن تؤتي النصيحة أكلها، وإن اختيار الوقت المناسب المؤثر يسهل ويقلل من جهد العملية التربوية، ذلك أن القلوب تُقبل وتُدبر، فإن أحسن الوالدان استثمار زمن إقبال قلوب أولادهم في توجيههم فإنهم سيحققون فوزاً كبيراً[١].

وقد قدم النبي ﷺ ثلاثة أوقات أساسية لتوجيه الأولاد:

١ـ في الطريق: وأثناء النزهة، وفي الهواء الطلق: حيث إن النفس تكون أشد استعداداً للتلقي، وأقوى على قبول النصائح والتوجيهات، والأوامر والنواهي؛ فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. . . . الحديث»[٢]، فهذا الحديث يدل على أن هذه التوجيهات النبوية كانت في الطريق وهما يسيران، ولم تكن في غرفة محدودة، وإنما في الهواء الطلق، ومما ورد أنه قد حَمَّل ﷺ أحد الأطفال في الطريق سراً من أسراره لكي يحفظه، وما ذلك إلا لقوة تأثر الطفل للتلقي في مثل هذه الأوقات، فعن عبد الله ابن جعفر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس»[٣].

٢ـ وقت الطعام: حيث إن الولد ـ ذكراً كان أو أنثى ـ يحاول أن ينطلق على

(١) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص: ٣١٣.
(٢) أخرجه الترمذي، ك/ صفة القيامة. . . ، رقم ٢٥١٦، وقال: حسن صحيح.
(٣) أخرجه مسلم، ك/ الحيض، ب/ ما يستتر به لقضاء الحاجة، رقم ٣٤٢.

سجيته، ويضعف أمام شهوة الطعام، فيتصرف أفعالاً شائنة أحياناً، ويخل بالآداب أحياناً أخرىٰ، وإذا لم يجلس الوالدان معه باستمرار أثناء الطعام، ويصححان له أخطاءه؛ فإنه سيبقىٰ في براثن العادات السيئة المنفرة، كذلك فإن عدم الجلوس معه في أثناء الطعام سيفقدهما وقتاً مناسباً لتربية الولد وتعليمه.

٣ـ وقت المرض: فالطفل عندما يمرض يجمع بين سجيتين عظيمتين في تصحيح أخطائه وسلوكه، وحتىٰ معتقده، وهما سجية فطرية الطفولة، وسجية رقة القلب والنفس في أثناء المرض، وقد وجه إلىٰ هذا رسول الله ﷺ فزار طفلاً يهودياً مريضاً، ودعاه إلىٰ الإسلام، وكانت الزيارة مفتاح عهد النور لذاك الطفل؛ فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أَسلِمْ» فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم. فأَسْلَمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»(١).

إن كثرة الكلام قد لا تؤتي أحياناً أُكُلَها في حين أن التخوُّل بالموعظة الحسنة تؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربها. ومما أمر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ به اتباع الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة، حيث يقول ـ عز من قائل ـ: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [**النحل**: ١٢٥]، والوالدان المسلمان معنيّان بهذا الخطاب؛ لأن أبناءهما أَوْلىٰ بالدعوة من غيرهم، وأسلوب الموعظة الحسنة يعتبر مضمون النتائج، وهو يؤثر في مجال التربية تأثيراً بالغاً في النفس، والعقل، والقلب.

وأذكِّر هنا بأمر هام، هو أن من أهم ما يدعو الإسلام الوالدين إلىٰ تحقيقه توليد الرغبة والدافع، وتحري الإقناع، وسعة الصدر، وترك المجاهرة بالتوبيخ مع

(١) أخرجه البخاري، ك/ الجنائز، ب/ إذا أسلم الصبي فمات...، رقم ١٣٥٦.

المراهق خاصة، ومما ورد في ذلك: «أن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مَهْ مَهْ! فقال: ادْنُهْ. فدنا منه قريباً، فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»(١).

فهذه هي الحكمة في الدعوة، وبها تجب على الوالدين القدوة، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [**آل عمران**: ٣١].

والأمر الجدير بالتأمل من قِبَل الوالدين، والذي لا يصح أن يخفى عليهما هو أن دعاة الإلحاد والتحلل من التقاليد والقيم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي، تلك المعاني التي تلقى هوىً لدى المراهق على وجه الخصوص، وتتفق تماماً مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته؛ ونظراً لعدم اكتمال نضج المراهق العقلي والنفسي فإنه يستجيب لها بسرعة؛ وعلى ذلك فإنه يجدر بالوالدين أن يجعلا أسلوبهما في التربية منسجماً ومؤكداً لمعنى حرية الإنسان التي قال ـ تعالى ـ فيها: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [**البلد**: ١٠]، ويتصفا

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٦)، رقم ٢١٧٠٨؛ وقال الألباني: سنده صحيح، ورجاله كلهم رجال الصحيح. انظر السلسلة الصحيحة، رقم ٣٧٠.

بالحلم، وسعة الصدر وهما يناقشان المراهق فيما يعرض له من قضايا؛ لأن كمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب، ومن ثم يستطيع الوالدان إذا التزما ذلك أن يعالجا أمراض نفوس أولادهم وهما هادئا النفس، مطمئنا القلب، لا يستفزهما الغضب، ولا يستثيرهما الحمق[١]، وحسبهما في ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ لإمام الداعين المربين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [**آل عمران**: ١٥٩]، وقوله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[٢]. ومن القصص التي تبين أهمية الحلم والأناة والرفق في بناء أخلاق الأجيال ما ورد عن عبد الله بن طاهر قال: كنت عند المأمون يوماً فنادىٰ بالخادم: يا غلام، فلم يجبه أحد، ثم نادىٰ ثانياً وصاح: يا غلام، فدخل غلام تركي وهو يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجنا من عندك تصيح: يا غلام يا غلام، إلىٰ كم يا غلام؟ فنكس المأمون رأسه طويلاً فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه، ثم نظر إليَّ فقال: يا عبد الله! إن الرجل إذا حسَّن أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسِّن أخلاق خدمنا[٣]. وكذلك من القصص التي يمكن أن تذكر في هذا الجانب قصة غلام زين العابدين بن حسين[٤].

تاسعاً: أن يلتزما الدعاء للأبناء لا عليهم:

فالدعاء وتحيُّن لحظات الإجابة التي بيَّنها رسول الله ﷺ من الأركان الأساسية التي ينبغي للوالدين أن يلتزماها تجاه أبنائهم؛ إذ إن دعاء الوالدين

(١) التربية الإسلامية للطفل والمراهق، محمد جمال الدين محفوظ، ص: ١٨٧ ـ ١٩٠.
(٢) أخرجه مسلم، ك/ الإيمان، ب/ الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ، ورسوله ﷺ، رقم ١٧.
(٣) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص: ٣٦.
(٤) راجع المبحث الثاني (التنشئة الاجتماعية) من الفصل الثالث في الجزء الأول من هذا الكتاب، ص: ٢٩٢.

مستجاب عند الله تعالىٰ؛ ومن هنا تبدو خطورة من يدعو علىٰ ولده، لما في ذلك من دمار له ولمستقبله، ومن دمار للأبوين كذلك، وقد نهىٰ الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا علىٰ أولادهم؛ لأن هذا منافٍ للخُلُق الإسلامي، ولمنهج التربية النبوية[١]؛ فمما ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «لا تدعوا علىٰ أنفسكم، ولا تدعوا علىٰ أولادكم، ولا تدعوا علىٰ خدمكم، ولا تدعوا علىٰ أموالكم، لا توافقوا من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»[٢]. وقد ذكر الإمام الغزالي أنه: «جاء رجل إلىٰ عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته»[٣].

لذا كان حرياً بالوالدين بدلاً من أن يكونا سبباً في إفساد الولد بالدعاء عليه، أن يكونا سبباً في صلاحه بدعائهما له كما فعل الرسول ﷺ فدعا للأطفال فبارك الله في مستقبلهم بالعمل، والمال، والولد، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ضمني النبي ﷺ إلىٰ صدره وقال: «اللهمَّ علِّمْهُ الحكمةَ»[٤]، وبفضل دعوة رسول الله ﷺ أصبح ابن عباس في كبره حبر الأمة، وترجمان القرآن. كما أنه دعا للطفل لإنقاذه من اختيار أمه النصرانية علىٰ أبيه المسلم؛ فعن عبد الحميد الأنصاري عن أبيه عن جده: «أنه أسلم، وأبت امرأته أن تسلم فجاء ابن لهما صغير لم يبلغ الحلم، فأجلس النبي ﷺ الأب ها هنا، والأم ها هنا ثم خيَّره،

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص: ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٢) أخرجه أبو داود، ك/ الصلاة، ب/ النهي عن أن يدعو الإنسان علىٰ أهله وماله، رقم ١٥٣٢، ورواه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٥٢، برقم ٥٧٤٢).

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٢ / ٢١٧، ٢١٨.

(٤) أخرجه البخاري، ك/ المناقب، ب/ ذكر ابن عباس، رقم ٣٧٥٦؛ ومسلم، ك/ فضائل الصحابة، ب/ فضائل عبد الله بن عباس، رقم ٢٤٧٧.

فقال: اللهم اهده فذهب إلى أبيه»[١].

وبذلك يمكن القول إن الدعاء يقتلع جذور العقوق إذا أخلص الوالدان في دعائهما، واستمرا به، وقد يقول قائل: إن الطفل عاق، ولا يستجيب لنداء والديه؟ فالجواب على ذلك سماحة يعقوب ـ عليه السلام ـ مع أبنائه حيث قال: ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾ [**يوسف**: ٩٨]؛ لذلك كان على الوالدين أن يستمرا ـ دائماً ـ في الابتهال إلى الله ـ سبحانه ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى في إصلاح أولادهم؛ لأن هذا هو شأن الأنبياء والمرسلين، ودأب عباد الرحمن المؤمنين، حيث يقول ـ تعالى ـ مخبراً عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾ [**إبراهيم**: ٣٥]، وقال: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [**إبراهيم**: ٤٠]، كما أخبر ـ سبحانه ـ أن من دعاء عباد الرحمن قولهم: ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾.

[**الفرقان**: ٧٤].

وأخيراً: إذا ثبت هذا فمن الواجب على كل والدين مدركين لعظم الأمانة التي يحملانها أن يراجعا نفسيهما، ويعرضا منهجهما في تربيتهما لأولادهما على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، فما كان من صواب حمدا الله واستمرا عليه، وتمسكا به، وما كان من خطأ رفضاه، وبحثا عن الصواب، وسألا أهل الذكر من أهل الاختصاص.

---

(١) أخرجه أبو داود، ك/ الطلاق، ب/ إذا أسلم أحد الأبوين...، رقم ٢٢٤٤؛ والنسائي، ك/ الطلاق، ب/ إسلام أحد الزوجين وتخيير الولد، رقم ٣٤٣٨؛ وابن ماجه، ك/ الأحكام، ب/ تخيير الصبي بين أبويه، رقم ٢٣٥٢؛ والحاكم في المستدرك (جـ ٢/ ص ٢٠٦)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.